الشاب .. الذى ضلل البوليس .. فأعدم

قضية الجريمة تروى ... وحاكمته

قد يكون الحكم الذى صدر فى هذه القضية باعدام المتهم قد أدانه لا أخذاً بنظرية الاتهام . . بل اقتصاصا منه فقط . . اذ ظل مخفياً أمر الحادث أياما طويلة وأسابيع عديدة أخذ في أثنائها يضلل البوليس والعدالة . . ثم سخرية منه . . وهو ذلك الذى وقف فى مزرعته وفوق الأشلاء المدفونة باكياً منتحباً ، وهو العالم بما تحوي الأرض من أسرار وأثقال .

من المحتمل كثيراً أن يكون « نورمان ثورن » — هذا الفتى الذى انحدر من عائلة عريقة وديعة عاشت فى ضواحى لندن دائماً — قد قتل عشيقته « ألسى كامرون » وتبعاً لذلك فيكون الحكم الذى صدر قاضياً بإعدامه جزاء ماقدمت يداه قد أصاب . . ولكن هل قارف « نورمان » الشاب هذه الجريمة الشنيعة حقاً ؟ !

إن الذى نسارع إلى إثباته قبل أن نسرد تفاصيل هذه القضية الغريبة والمحيرة معاً . . هو أن أمرها أثار الجمهور الإنكليزى ورجال الفقه والقانون جميعا . . وما أن ختمت فصولها بإعدام بطلها شنقاً حتى هبت « جريدة القانون » — لسان حال نقابة المحامين الإنكليز — وقالت معلقة ومعقبة على هذا الحكم : بأنه ترك شعوراً عميقاً بعدم الراحة . . وبلبلة فى الأفكار لدى كثير من الناس . . كما صرح « السير أرثر كونان دويل » — الكاتب الفذ — بأنه لم يرتح إطلاقا إلى ما تم فى هذه القضية ! ! .

انخرط « نورمان ثورن » فى الجيش عند ماشبت الحرب العالمية الأولى . . وما أن سرح عقب انتهائها حتى رأى أن يمارس حياته العملية فورا . . فاشترى ضيعة صغيرة فى « سسكس » وجعلها مقراً لتربية الدواجن . . ولقد ساعده والده مادياً . . ولكن الحظ العاثر لازمه فلم يجن من وراء عمله ربحاً . . بل غرق فى الديون إلى أذنيه ! .

وعند ما كان « نورمان » يعيش فى لندن قبل أن ينتقل إلى ضيعته الصغيرة تعرف إلى فتاة تدعى « ألسى كامرون » وظل على علاقة ودية معها إلى أن دب الحب العميق بينهما . . ولقد ثبت بعد ذلك أن « ألسى » كانت تحب وتعشق رجلها « نورمان » أكثر مما كان هذا يبادلها الحب والعشق ! بل إن أدلة كثيرة قامت على أن « نورمان » ملّ حب « ألسى » ورفقتها ! . .

وفى نوفمبر من عام ١٩٢٤ كتبت الفتاة رسالة إلى « ثورن » تخبره فيها أنها قاربت أن تصبح أما . . والحق أنها اعتقدت عندئذاك لفرط ما انتابها من هواجس أنها حبلى . . إذ تبين فيما بعد أنها لم تحمل جنيناً بين أحشائها قط فى أى يوم من الأيام ! . .

اضطرب « ثورن » عند ماعلم بهذا النبأ — البعيد عن الحقيقة فى مخبره — وتملكه الهم والقلق . . وفى النهاية استقر رأيه على أن يتزوج الفتاة إذا كانت حقيقة قد حملت منه . . ولكن كيف يمكنه أن يعرف ذلك . . وكيف يثق بأنها لم تقم بإبلاغه هذا النبأ إلا طمعاً وراء الزواج منه بعد أن رأت مله الواضح منها ؟ ! .

وهنا . . يحق لنا أن نتعرض للفتاة . . « ألسى كامرون » . . لنرى من تكون ؟ ! لقد كانت إحدى عاملات الاختزال منذ صغرها . . ولقد بدأت عملها هذا ولما تزال فى الرابعة عشر من عمرها . .

وظلت تباشره إلى ما قبل مقتلها بستة شهور ، إذ تركت هذا العمل على أثر إصابتها ببعض الحالات العصبية الحادة التى استحال معها أن تداوم على عملها فى إتقان . . وكثيراً ما كان يحدث فى أثناء قيام الفتاة بالعمل مع زملائها وزميلاتها أن تصاب بحالة عصبية طارئة فيحملها هؤلاء إلى مسكنها عاملين على تهدئتها إذ كانت تحاول فى مثل هذه الحالة الانتحار ! ولقد دل تتبع تاريخ حياة الفتاة الخاصة أن السبب الأكبر لهذا الاضطراب الذى كان ينتابها راجع إلى أنها كانت تعتقد فى يقين أنها حامل . . وأنها أصبحت أمًّا دون أن يكون لها زوج ! وكثيراً ما شوهدت تتردد على عيادات الأطباء ومعاملهن . . ولكن ظلت هناك حقيقة واحدة لم تتغير وسلم بها جميع الأطباء قبل مصرعها . . وبعده . . وهو أن « ألسى كامرون » لم تحمل جنيناً بين أحشائها فى أى يوم من الأيام ! .

ومهما يكن من أمر . . فقد قرر « نورمان ثورن » أن يتزوج « ألسى كامرون » عندما أنبأته هذه بأنها قاربت أن تكون أمًّا . . وبالرغم من أن هذا القرار لقى سخطاً ومعارضة شديدين فى دوائر « نورمان » العائلية ، إلا أنه تجاهل كل ذلك . . ولم يأبه إلى ما نصحه به ذووه من أن هذه الفتاة لا يمكن أن تصلح له كزوجة . . وهو الرجل المجاهد المكد المكافح فى سبيل الحياة ، وفى شئون الفلاحة

القاسية ! . ولقد صرحت « ألسى » عندئذاك بأنها فى الواقع فى حالة شاذة لا تجد نفسها معها قادرة على مساعدة رجلها . . إذ أن صحتها ساءت إلى درجة كبيرة . . بل إلى درجة أنها أصبحت عاجزة حتى عن ترتيب الفراش الذى ترقد عليه ! !

وفى إحدى الليالى . . وبينما كانت « ألسى » مع بعض صديقاتها طلبت منهن أن يحملنها إلى كوخ « نورمان » الريفى ، إذ أنها أصبحت غير قادرة على البقاء بعيدة عنه . . ولقد حاولت صديقاتها تهدئتها دون جدوى . . واضطررن إلى استدعاء « نورمان » الذى عمل جاهداً على إعادتها إلى حالتها الطبيعية . . ولم يغادر مسكنها فى تلك الليلة إلا بعد أن اطمأن إلى أنها قد رقدت فى فراشها . .

وفى يوم قريب بعد ذلك . . اكتشفت « ألسى كامرون » بأنها غير قادرة على أن تعيش بمفردها ، وساعدها على ذلك الاعتقاد أنها وجدت مالها قد نفذ ، وعملها قد طردت منه لمرضها ، فماذا تفعل ؟ !

لم تجد أمامها سوى حل واحد يمكن أن ينقذها من ورطتها المالية والقلبية معاً . . وهذا الحل هو أن تتزوج « نورمان ثورن » بالذات . . وعلى الفور . . ولكنها اضطرت إلى تأخير تنفيذ قرارها هذا عندما علمت بأن حالة عشيقها المالية قد ساءت هى الأخرى . . وأنه غادر مسكنه ليقيم فى كوخ صغير بضيعته المتواضعة . . سعياً وراء الاقتصاد والتوفير

وكان الله يريد أن يزيد فى متاعب « نورمان » . . إذ وجد نفسه يوماً وقد تعلق بحب فتاة أخرى حسنة المنظر والهندام . . وديعة الأخلاق والطباع ، وسرعان ما قارن بينها وبين عشيقته « ألسى كامرون » فوجد أن لابد من اتخاذ قرار بشأن هذه الأخيرة ، وبالفعل أمسك بقلمه وخط إليها كتاباً بتاريخ ٢٥ نوفمبر من عام ١٩٢٤ وأنبأها فيه بتعرفه إلى فتاته الجديدة وبأنه أمسى حائراً « بين نارين » . . وبعد ذلك بأيام كتب إليها رسالة أخرى وأخبرها فيها بصراحة أن علاقته مع الفتاة الجديدة وصلت إلى الحد الذى كانت قد وصلت إليه علاقته مع « ألسى » نفسها ! .

وبالرغم من أن هذه الأخبار كانت قد حطمت قلب « ألسى » إلا أنها تغلبت على هذه الصدمات وتمكنت من أن تقنع « نورمان » بوجوب زواجه منها . . وأخذا بالفعل يعدان لذلك عدتهما . . ثم اتفقا على أن تذهب « ألسى » إليه بضيعته فى ٦ ديسمبر من عام ١٩٢٤ .

ولأمر ما رأت « ألسى » أن تفاجىء « نورمان » فى كوخه بعد ظهر يوم ٥ ديسمبر . . فقصدت إلى « كراوبرو » واتخذت طريقها إلى الكوخ مرتدية رداءا جديداً . . وهى أتم ما تكون زينة وفتنة ! ! وكانت قد حملت معها كل ما تملكه من حطام الدنيا وهو ملابسها . . إذ وضعتها فى حقيبة كبيرة ولم تنس أن تضع فيها أيضا ملابس معدة لطفل وليد

نورمان ثورن

أليس كامرون

مرتقب ! ! أما السر فى حملها هذه الحقيبة والملابس فظاهر . . إذ كانت قد قررت ألا تغادر الكوخ ثانية إذا ما وصلت إليه ! .

ولقد كان من المحتمل كثيراً أن تلقى ألسى من نورمان ترحيبا كبيراً لو لم يكن قد ارتبط فى مساء ذلك اليوم بموعد هام مع صديقته الجديدة . إذ كان عليه أن يقابلها فى المحطة ويحمل لها حاجياتها الخاصة حتى منزلها .

على أن الذى حدث فى ذلك المساء . . كان رهيباً . . إذ لاقت الفتاة « ألسى كامرون » . . حتفها بطريقة غامضة . . وكان بلا شك صديقها « نورمان ثورن » آخر من رآها حية . . ولكنه مع ذلك أنكر رؤيته لها بعد ظهر ذلك اليوم وفى مسائه . . وأخذ يبكى ويولول لرجال البوليس عندما اكتشف أمر اختفاء الفتاة ، وبعد ما أخطر ذووها بذلك ، وقدم إلى هؤلاء الرجال كل معونة ممكنة كيما ييسر لهم الاهتداء إلى مقرها ، إذ زوّدهم بصور عديدة لها ، وأرشدهم عن الأماكن والأشخاص الذى يحتمل أن تكون قد لجأت إليهم أو ترددت عليهم فى أيامها الأخيرة .

فى مساء يوم ٦ ديسمبر — وهو اليوم الذى كان قد حدد أصلا لحضور عشيقته — كتب نورمان إليها رسالة بعث بها إلى حيث تقيم عائلتها ، وأفاض فيها شارحاً عاطفته الفياضة نحوها . . وانتهى إلى إبداء أسفه وحزنه لأن حبيبته لم توافه فى موعدها المحدد ! ! وفى اليومين

التاليين — ٧ و ٨ ديسمبر — بعث نورمان برسالتين أخريتين مملوءتين بالعواطف الجياشة والتألم الذى لا حد له من جراء تأخيرها عن الحضور إليه فى كوخه كما سبق أن اتفقا . . !

وفى اليوم العاشر من الشهر تسلم نورمان من والد ألسى برقية جاء فيها :

« برحتنا ألسى يوم الجمعة ٥ ديسمبر ولم نسمع عنها شيئاً بعد ذلك . . ألم تصلكم ؟ أجيبوا حالا » .

فرد نورمان على الفور ببرقية قال فيها :

« لم تحضر ألسى لدينا . افتحوا رسائلى إليها . لا أفهم شيئا » .

وفى يوم ١٣ ديسمبر قصد نورمان من تلقاء نفسه إلى مكتب البوليس فى « أيست سسكس » وأبلغ بأنه كان ينتظر قدوم « ألسى كامرون » إلى ضيعته فى « كراوبرو » فى مساء يوم ٦ ديسمبر . . ولكنها لم تحضر ، وقد علم أنها غادرت ذويها قبل ذلك بيوم ، ولكنها لم تصله ولم تعد إليهم بالتالى . . وأردف هذا التبليغ باستفسار دائم عن الموضوع . وكان فى كل مرة يتصل برجال البوليس يبكى ويولول . . ويندب سوء حظه وطالعه المنكود ! ! .

وأخذ البوليس يوالى البحث والتحقيق سراً إلى أن نشرت جريدة « التيمس » فى يوم ١٣ يناير سنة ١٩٢٣ النبأ التالى فى محلياتها :

« طلب بوليس سسكس معونة سكوتلانديارد فى سبيل الكشف

عن سر اختفاء « ألسى كامرون » الغامض . . فانتدبت المفتش جيلان من رجالها إلى « كراوبرو » لهذا الغرض » . .

وفى اليوم التالى التقى المفتش بنورمان فى ضيعته . . وأخذ يسأله عن معلوماته مدة طويلة من الساعة الرابعة بعد الظهر حتى الثالثة والنصف من صباح اليوم التالى . . وقد أصر « نورمان » طوال هذه المدة على ما سبق أن قرره ورواه لرجال البوليس المحليين ، من أنه لم يستقبل « ألسى » فى يوم ٦ ديسمبر كما لم يرها بعد ذلك التاريخ بالمرة . . ولا قبله بأيام . . وصرح للمفتش بأن هذه الفتاة دأبت على زيارته من قبل فى كوخه بضيعته حيث عاشا أوقاتاً سعيدة معاً كزوجين — وإن كانا لم يتزوجا بعد — كما قرر أيضاً بأنه كان قد وعدها بالزواج متى تبين أنها حملت منه كما كانت تدعى ! ! . .

أخذ المفتش فى البحث الجدى بعد ذلك ، فتقدم إليه بعض جيران « نورمان » وقرروا بأنهم شاهدوا الفتاة بعد ظهر يوم اختفائها وهى تجتاز الباب الخشبى الخارجى لكوخ صديقها . . ولذلك فقد استقر رأى رجال البوليس على تركيز مجهودهم وبحثهم على مزرعة الشاب الناحب الباكى وأخذوا يحفرون مناطق متعددة فى هذه المزرعة حتى كانت الساعة الثامنة والنصف تقريباً من صباح يوم ١٥ يناير من عام ١٩٢٥ — أى بعد اختفاء الفتاة بما يزيد عن أربعين يوماً — إذ عثر المنقبون على

الحقيبة الخاصة بالعاملة البائسة مدفونة فى أحد أحواض البطاطس . . وعلى الأثر ألقى مفتش البوليس المستر « جيلان » القبض على « نورمان ثورن » ووجه إليه تهمة اغتيال « ألسى كامرون » .

ألقى « نورمان ثورن » فى السجن الاحتياطى . . وظل ملازما هذا السجن مفكراً فى أمره طيلة يوم القبض عليه . . وما أن حلت الساعة الثامنة مساء حتى طلب أن يدلى بأقواله ، فأجيب إلى طلبه فى الحال ، وكان ما قرره أمراً عجبا ! .

فلقد اعترف بأنه تقابل فى كوخه فى عصر يوم ٥ ديسمبر مع « ألسى كامرون » وأخذ يتجاذب أطراف الحديث معها ، وعلم منها أنها تنوى الإقامة فى « كراوبرو » فغادرها إلى أحد جيرانه حيث أخذ فى البحث عن حجرة خالية لكى يمكن « لألسى » الإقامة فيها ، ولكنه فشل فى ذلك لغياب جاره ، فعاد إلى الكوخ واستمر يحادث الفتاة فترة أخرى من الزمن وفى هذه الأثناء تناول معها عشاء بسيطا .

وفى الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والأربعين طلب من « ألسى » أن تسمح له بمغادرة الكوخ كى يستقبل بعض الأشخاص بالمحطة فعارضت فى الأمر ، ولكنها أجابته إلى طلبه فى النهاية . . وعلى الأثر غادرها ثم عاد فى الساعة الحادية عشرة والنصف مساء . . وما ألقى بنظره داخل الكوخ حتى وجد صديقته وقد علقت من رقبتها فى العارضة العليا

الخشبية للكوخ . . بينما كانت جثتها تتأرجح فى الهواء . . وفى الحال أدرك أنها قتلت نفسها ! .

وهنا تملكه الفزع والاضطراب وحار فى تصريف أمر نفسه . . فبدلا من أن يصيح مستغيثاً أو يسرع بطلب أية معونة من الجيران ارتكب حماقة لا تغتفر . . إذ قطع الحبل الذى كانت الجثة معلقة به ووضعها على الفراش . . وأردف ذلك بأن نزع الملابس التى كانت ترتديها وقذف بها إلى الموقد لتحرق . . ثم أخذ فى فصل رأسها وقدميها عن جسدها . . وما أن أتمّ ذلك حتى وضع الرأس فى صندوق خاص وجمع باقى الأشلاء فى أكياس متفرقة ! ! .

وفى الليل البهيم أخذ يحفر الأرض فى جانب من مزرعته حيث اعتاد تربية الدجاج . . ودفن هذه الأشلاء . . وأما الحقيبة الخاصة بصديقته فقد حفر لها حفرة بحوض البطاطس المجاور لمدخل الكوخ . . وبعد أن أتمّ كل ذلك وأصبح الصباح . . رأى من الأصوب الإعلان بأنه لم ير الفتاة إطلاقاً ! .

هذا هو الاعتراف الذى أدلى به « نورمان ثورن » فى مساء ذلك اليوم . . وبعد تفكير طويل مرير . . وقبل أن يعرف ما إذا كان رجال البوليس قد عثروا على أشلاء القتيلة — أو المنتحرة — أو لم يعثروا . . ولكنهم على أى حال لم يكن قد عثروا — عند ما اعترف نورمان —

على شيء . . وسرعان ماذهبوا مرة أخرى إلى المزرعة وهناك وجدوا الأشلاء المتناثرة فى الأكياس المتعددة تقبع تحت الأرض وأسفل المكان الذى اعتاد الدجاج الرياضة فيه . .

وقد دفنت جثة الفتاة ــ أو أشلاؤها على وجه أصح ــ بعد ذلك . . ولكن هذه الأشلاء استخرجت بعد ذلك من قبرها لتكون تحت الفحص والدرس الطبي بعد أن مثل « نورمان ثورن » أمام القضاء متهماً بقتل صديقته . . وبعد ما أصر على روايته بأنه لم يقتلها أبداً .

ولقد نصح الدفاع عن المتهم إياه بالاعتراف بأنه قتل الفتاة على أثر شجار نشب معها . . وذلك أملا فى إنقاذ حياته ، إذ يمكن بذلك أن يصدر عليه حكم بالسجن وليس بالإعدام . . ولكن هذا المتهم أصر وأمعن فى الإصرار ــ حتى لمحاميه وخاصته ــ بأنه لم يلمس الفتاة أبداً قبل وفاتها وأنها ماتت قبل أن يمثل بجسمها ويدفنها فى المزرعة . .

وأزاء هذا الإصرار استخرجت أشلاء الجثة من القبر . . كى تبحث بمعرفة الإخصائيين من رجال الطب لتقرير ما إذا كانت هناك علامات أو اشارات يمكن أن تؤيد دفاع المتهم من أن الفتاة انتحرت بحبل التف حول عنقها . . من عدمه . .

وعند ما سلمت الرأس إلى هؤلاء الإخصائيين لفحصها لاحظوا أن نورمان فصله عن الجسد دون أن يمس الرقبة مساساً كبيراً . . كما أنه

حفظ هـذا الرأس وحـدها فى صندوق مغلق كأنه كان يدرك مقدما بأن نزاعاً طبياً تاريخياً سيدور حول الرقبة المتصلة بها ! .

وهكـذا انقلبت ساحة القضاء إلى ميدان بحث طبي . . وتصادمت الآراء . . وتطاحنت النظريات . . فبينما أصر السير « برنارد سيلسبرى » أمهر أطباء وزارة الداخلية البريطانية وخبير الاتهام على أنه لا توجد بالرقبة أية علامات تدل على أن حبلا التف حول العنق وسبب الوفاة بالانتحار . . أكد بالطبيبان المشهوران الدكتور « برونتيه » والدكتور « جالتى » العـكس على خط مستقيم وأيدهما فى ذلك طبيب شهير أيضا هو الدكتور « نابارو » . . فقد اتفقوا ثلاثتهم أن هناك آثاراً بالرقبة تدل على الشنق بواسطة التفاف حبل حولها .

ولقد كان الدكتور « برونتيه » أكثر الأطباء الثلاثة تحمساً لنظريته ورأيه . . وأخذ يدلى إلى المهتمين بالقضية ، وإلى رجال الصحافة ، بشروح وافية وتأييدات كافية لمـا استقر عليه هو وزملاؤه من رأى . . بل ظل على هذا الحماس حتى بعد أن رفضت المحـكمة الأخذ برأيه ، وقضت بقبول رأى السير « برنارد سيلسبرى » وبالتـالى بإعـدام المتهم . . « نورمان ثورن » .

ولقد جرت محاكمة المتهم أمام محكمة جنايات سسكس فى ١١ مارس سنة ١٩٢٥ وكان يرأسها القاضى « فنلاى » ـ وهو أحد أعضاء المحكمة

العليا الانجليزية حالا — ومثل الاتهام « السير هنرى كيرتس بنيت » والدفاع « المستر كاسلز » من كبار المحامين ، والإثنان من أعضاء مجلس العموم . . وكانت المناقشة الطبية الفنية بين جهابذة الأطباء والتى أشرنا إليها قبلا هى أهم أحداث المحاكمة . .

وقد حدثت مفاجأة من الدفاع فى نهاية المحاكمة وقبل إصدار الحكم . . إذ طلب سماع شهادة الدكتور « وودز » من الأخصائيين فى الأمراض العصبية والعقلية . . فأدى اليمين وقرر بأنه شهد جميع جلسات المحاكمة واستمع إلى كل من تكلم فى أثنائها . . وأنه انتهى إلى رأى يمكنه أن يجزم به ، وهو أن القتيلة « ألسى » لا بد وأن تكون ذات ميول قوية للانتحار . . وأنه لا يستغرب أن تقدم على ذلك وعلى الأخص إذا تمكنت منها أزمة عاطفية أو نفسية ! !

وفى الوقت نفسه استقدم الدفاع عديداً من أصدقاء « نورمان » شهدوا بأنه من أحسن الشبان وأدمثهم أخلاقاً وطباعاً ، وأنه أبعد ما يكون رغبة فى إيذاء حيوان صغير . فما البال برفيقته أوعشيقته . أو زوجته المقبلة؟!

ولقد كان الدفاع والمتهم معاً يعتقدان بأنهما سيربحا الجولة أمام المحكمة . . ولكن المحلفين لم يمكثوا فى حجرتهم أكثر من ٢٨ دقيقة عادوا بعدها ليقول رائدهم بأنهم يرون المتهم مديناً ! .

رفع المتهم استئنافاً عن هذا الحكم نظر أمام المحكمة الجنائية الاستئنافية

فى ٦ أبريل منعقدة برئاسة قاضى قضاة انجلترا . . وبعد نقاش بسيط أمامها . . أيدت الحكم الأول القاضى بإعدام المتهم شنقاً . .

وهكذا أعدم « نورمان ثورن » فى ٢٢ أبريل من عام ١٩٢٥

مسكين هذا الفتى . . ومسكينة هذه الفتاة التى لاقت مصرعها فى اليوم الموافق للذكرى السابعة والعشرين لميلادها . . إن هناك شكاً كبيراً فى أن يكون قد لقى هو الآخر مصرعه على المشنقة نتيجة خطأ طبى . . فقد يكون رأى السير « برنارد » هو المرجوح ورأى زملائه الثلاثة هو الأرجح .

ولكن هكذا أراد القضاء . . ولعله . . كما قال معقب على الحكم — قد أدان المتهم لا أخذاً بنظرية السير « برنارد سبلسبرى » فقط . . بل اقتصاصاً من هذا المتهم الذى ظل مخفياً أمر الحادث أياما طويلة وأسابيع عديدة . . أخذ فى أثنائها يضلل البوليس والعدالة . . ثم سخرية منه . . وهو ذلك الذى وقف فى مزرعته وفوق الأشلاء المدفونة باكياً منتحبا . . وهو العالم بكل ما تحوى الأرض من أسرار وأثقال ! .